

المحاضرة (٢٨)

المسرحية

المسرحية جنس من الأجناس الأدبية القديمة التي تمت جذورها في أغوار التاريخ.

عرف المسرح في صورة بدائية ساذجة عند قدماء المصريين، ومان مسرحاً دينياً محوره أسطورة دينية هي أسطورة (ايويس وأوريس) التي تدور على الصراع بين إله الخير وإله الشر، والراجح أن الكهنة كانوا يمثلون هذا العرض الأسطوري داخل معابد مغلقة حيث لم يكن مسموحاً للجمهور مشاهدته، لهذا لم ينم هذا المسرح ولم يتطور وسرعان ما مات دون أن يترك أثراً ما.

ومثل ذلك ما شاع عند البابليين في العراق، إذ كانوا يمثلون خلال أعياد رأس السنة البابلية دراما دينية محورها موت الإله مردوك وصعوده إلى السماء. لكن المسرح ظهر في صورة متطورة في بلاد اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وقد نما وتطور من الاحتفالات الدينية التي كانت تُقام للإله (باخوس) إله الخمر والخصب والنماء.

كان المسرح اليوناني القديم مسرحاً شعرياً ذا تقاليد وأسس واضحة ومتطورة تتمثل في تبلوره في نوعين هما المأساة والملهاة، وإفرازه نصوصاً مسرحية يتوافر فيها كل مقومات الجمال والكمال، وخلق نقداً منهجياً قام على استنباط وتحديد قواعد وخصائص المسرحية الشعرية، كما ورد في كتاب أرسطو (فن الشعر).

انتقل المسرح الشعر بعد ذلك إلى الرومان الذين ساروا فيه عن نهج اليونان في الحفاظ على أصوله وتقاليده، ثم أزهروا في فرنسا إبان القرن السابع عشر الميلادي على أيدي الكلاسيين الجدد وهم كورني وراسين وموليير.

وبحلول القرن التاسع عشر أخذ الشعر يتراجع من مساحة المسرح ليحل ملحه النثر نظراً لسيادة الواقعية في المسرح والأجناس الأدبية الأخرى. وفيما بعد شدّ المسرح تيارات واتجاهات أخرى مثل الرمزية والتعبيرية والملحمية والعبث واللامعقول. أما الأدب العربي القديم فلم يعرف المسرح بالشكل وال قالب الغربيين لكنه عرف صيغاً وضروباً أخرى من التمثيل تختلف كل الاختلاف عن صيغ وقوالب المسرح الغربي، فمن المعروف أنّ المسرح ليست له صيغة واحدة أو شكل واحد، بل صيغ وأشكال مختلفة تبعاً لاختلاف ثقافات الأمم وحضاراتها، ونظراً لاشتهار صيغة المسرح الغربي التي هي أساساً صيغة المسرح اليوناني، أصبح الشائع أن المسرح ليس إلا المسرح الغربي، فهو المسرح الوحيد في العالم، وكل مسرح يختلف عنه، لا يُعدّ مسرحاً ولا يمتّ بصلة إلى المسرح، وهذا ما حدث فيما يخص المسرح العربي القديم الذي انكر وجوده الباحثون لأنهم وجدوه يختلف عن المسرح الغربي في طبيعته وخصائصه من هنا كان شيوع الأحكام والآراء الخاطئة عن المسرح عند العرب، وظن الكثيرون أن العرب لم يعرفوا المسرح والتمثيل بأية صورة من الصور. والحق أن الثقافة العربية القديمة عرفت صوراً وفنوناً تمثيلية مختلفة عكست خصائص وسمات المجتمع العربي والحضارة العربية واهمها الحكواتي والمقامة وخيال الظل القرقوز.

الحكواتي:

شاع فن الحكواتي في التراث العربي القديم، والحكواتي قاص ماهر يجيد الحكاية ويشفع حكاياته وقصصه بمحاكاة الصفاة والخصائص والأصوات، أي أنه يهدف بواسطة الإشارات والحركات التي يستخدمها أثناء القص إلى إيضاح وتجسيم ما يُريد أن يقوله، فكان عمله هذا صورة من صور التمثيل، لكن التمثيل كان يؤدي بواسطة مُمثل فرد واحد بلا مُشارة مُمثلين آخرين، وكانت الجماهير العربية تجد فيما

يقدمه الحكواتي تسلية ومتعة عظيمنتين، حتى أنها كانت تتخاصم فيما بينها من شدة التأثير الذي يتركه الحكواتي في نفوسها.

إن هذا القالب التمثيلي يستند إلى فلسفة تختلف عن فلسفة القالب الأوربي، وهي قيامه على فكرة التقليد وليس على فكرة التمثيل، أي أن المُمثل هنا لا يتقمص شخصية من الشخصيات أو يحل فيها حلولاً تاماً، وإنما يُحاول أن يكشف بأسلوب التقليد عن سمات وملامح وكوامن شخصية أو شخصيات أخرى، ولا يحتاج هذا القالب إلى خشبة مسرح أو ديكور أو إضاءة أو مكياج، لأن الحكواتي يُقدم عمله بملابس عادية وفي أي مكان، ومن أشهر الحكواتية ابن المغازلي الذي عاش في عهد المعتز، كان يشفع قصصه بمحاكاة الصفات والخصائص، وقد مثل بين يدي الخليفة شخصيات مختلفة. هذا ويسعى منذ عدة سنوات جمهرة من المسرحيين العرب إلى إحياء شخصية الحكواتي وتطويرها لتكون محور المسرحية وإطارها العام بقصد تأصيل المسرح العربي المعاصر، أي ليكون المسرح العربي عربياً في القالب والمضمون بعيداً عن تأثيرات المسرح الغربي.